

مفهوم الربوبية في يتم النبي محمد (ﷺ)

د. خيال صالح حمد

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

تعد ظاهرة اليتيم ظاهرة قديمة حديثة ، قديمة بوجودها منذ أن أوجد الله تعالى البشرية بموت أحد الأبوين أو كلاهما ، لكنها تزيد وتنفص ، تزيد بكثرة الحروب والاحتلال والكوارث الطبيعية ، وتنقص بقلة هذه الأسباب المؤدية الى زيادتها ، وظاهرة حديثة لكثرة ما تشهده مجتمعاتنا في وقتنا الحاضر وغالب بلاد المسلمين من كثرة الحروب والمعارك وتطور الأسلحة الفتاكة التي تقتل الناس بال عشرات ، وما تخلّفه هذه الظاهرة من أثار سلبية على المجتمعات والأفراد ومنها ظاهرة اليتيم ، ومن خلال هذه الظاهرة التي يعاني منها مجتمعنا أردت أن أسلط الضوء في هذا البحث على يتم النبي ﷺ وكيف كان للقدر والعناية الإلهية من حمايته ورعايته وصناعته وفق الصورة التي أرادها الله تعالى له منذ أن كان جنيناً في بطن أمه الى أن توفاه الله تعالى ، وكيف هيأ له من كفالة ورعاية منعه من الإنحراف والإنزلاق في بعض المسائل التي تؤثر على دعوته التي هيأه الله تعالى لها، ولإظهار الصورة المشرفة من هذه الرعاية الإلهية ليتأسى بها اليتامى الذين فقدوا آبائهم وأمهاتهم وليكونوا مواطنين صالحين نافعين لمجتمعاتهم، لا يؤثر عليهم اليتيم ولا يكونون عناصر سلبية في مجتمعاتهم

بِسَبَبِ الْيَتَمِ، وَلِاتِّمَاعِ الْحَسَنِ الْإِيمَانِي لَدَى الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ مِنْ خِلَالِ
الْمُعَامَلَةِ الْحَسَنَةِ لِلْيَتِيمِ بِمَا تَظَافَرَتْ فِيهِ الْأَدَلَّةُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ.
وَكَانَتْ خُطَّةُ الْبَحْثِ تَتَأَلَّفُ مِنْ مَبْحَثَيْنِ:

المبحث الأول يتحدث عن مفهوم الربوبية وبيّنت فيه معنى الربوبية في اللغة
والإصطلاح ثم وضحت خصائص الربوبية ، وعرفت باليتيم ليتم المعنى لأهم الألفاظ
الواردة في العنوان.

المبحث الثاني تحدثت عن مفهوم الربوبية وأثرها في يتم النبي ﷺ من الولادة الى البلوغ
وفق التسلسل الزمني ليكون رسول الإنسانية الداعي الى كفالة اليتيم، ووقفت على
ملاحم العناية الإلهية لمن اصطفاه الله رحمة للعالمين، من خلال وفاة والده وهو في
بطن أمه وكيف كان حمل أمه ووضعها وما رافقها من إرهاصات ثم عن رضاعته في
بني سعد وكيف كانت رعاية الله مُحِيطة به تحرسه وتحميه، وعن وفاة أمه وكفالة جدّه
عبد المطلب، وكفالة عمّه أبو طالب وما جرى فيها من أحداث ومتغيرات في حياة
النبي ﷺ، وأبرزت العناية الإلهية لهذا اليتيم الذي اختاره الله تعالى ليكون نبي هذه الأمة
ورسولها، وأخيراً ختمت البحث بأهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول مفهوم الربوبية

المطلب الأول

الربوبية في اللغة

معنى الرب في اللغة:

الرب في اللغة: وردت كلمة (رَبَّ) لِعِدَّةِ مَعَانِي فِي اللُّغَةِ، فَهِيَ تَأْتِي بِمَعْنَى مَالِكِ الشَّيْءِ وَصَاحِبِهِ، وَالسَّيِّدِ الْمُطَاعِ وَالْمُصْلِحِ لِلشَّيْءِ الْمُدَبِّرُ لَهُ الْقَائِمُ عَلَى تَرْبِيَّتِهِ، قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: الرَّبُّ: الْمُصْلِحُ لِلشَّيْءِ، يُقَالُ: رَبَّ فُلَانٌ ضَيَعَتْهُ، إِذَا قَامَ عَلَى إِصْلَاحِهَا.. وَاللَّهُ - جَل ثَنَاؤُهُ - الرَّبُّ لِأَنَّهُ مُصْلِحُ أَحْوَالِ خَلْقِهِ، وَالرَّبُّ: هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، هُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ أَيْ مَالِكُهُ، وَلَهُ الرُّبُوبِيَّةُ عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَهُوَ رَبُّ الْأَرْبَابِ، وَمَالِكِ الْمُلُوكِ وَالْأَمْلَاقِ، وَرَبَّيْتُ الْقَوْمَ: سَيَّسْتُهُمْ، أَيْ كُنْتُ فَوْقَهُمْ^(١).
وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: "رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ مَالِكُهُ، وَالرَّبُّ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -، وَلَا يُقَالُ فِي غَيْرِهِ إِلَّا بِالْإِضَافَةِ^(٢)."

من هذه التعاريف اللغوية يتبين أنَّ (الرَّبَّ) يُطْلَقُ فِي اللُّغَةِ عَلَى الْمَالِكِ، وَالسَّيِّدِ، وَالْقَيِّمِ وَالْمُنْعَمِ، وَالْمُدَبِّرِ، وَالْمُرَبِّيِّ، وَأَنَّ كَلِمَةَ الرَّبِّ مُشْتَقَّةٌ مِنَ التَّرْبِيَةِ لِأَنَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُدَبِّرُ الْخَلْقِ وَمُرَبِّيهِمْ، وَمَتَى أُدْخِلْتَ الْأَلْفَ وَاللَّامَ عَلَى "رَبِّ" اخْتَصَّ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ،

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، (ت: ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ٣٨١/٢ - ٣٨٢ مادة (رَبَّ)، ولسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفریقی (ت: ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، ط ٣، ١٤١٤ هـ، ٣٩٩/١ - ٤٠٠ مادة (رب).

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ١/٣٠.

لأنها للعهد، وإن حذفناها منه صارَ مُشترَكاً بين الله وبين عباده، فيقال: الله ربُّ العباد،
وزيدُ ربُّ الدار.

المطلب الثاني

الربوبية في الاصطلاح

١. معنى الربُّ في الشرع:

وردَ لفظُ الربِّ كثيراً في كتابِ الله تعالى، وسُنَّة رسوله ﷺ، وكان المَعْنى فيها هو
معنى الربِّ الذي وردَ في اللغة، ومن تلك الآياتِ قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ﴾^(١)، وأنَّ لفظ (الربِّ) لا يُطلق إلاَّ على الله، لأنَّه هو الربُّ سُبْحانه وتعالى
الذي له الربوبية على عباده^(٢).

يقول ابن تيمية (رحمه الله): (الربُّ هو الذي يُرى عبده، فيُعْطيه خَلْقَه، ثم يَهْدِيهِ إِلَى
جَمِيع أحواله، من العِبَادَةِ وغيرها)^(٣).

ويقول ابن القيم (رحمه الله): والربُّ هو السيِّد، والمَالِك، والمُنْعَم، والمُرَبِّي،
والمُصْلِح، والله تعالى هو الربُّ بهذه الاعتبارات كلّها^(٤).

(١) سورة الفاتحة : الآية : ٢.

(٢) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م،
٢٢١/٢.

(٣) مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨ هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن
محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية،
١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ٢٢/١.

(٤) ينظر: بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١ هـ)، دار الكتاب
العربي، بيروت، لبنان ، ١٣٢/٤، وينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن
أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١ هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي -
بيروت، ط٣، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م ٣٤/١ - ٣٥.

فَالرَّبُّ: صِفَةُ ذَاتِيَّةٌ^(١) لِّلَّهِ تَعَالَى، وَهِيَ بِمَعْنَى السَّيِّدِ وَالْمَالِكِ وَالْمُتَصَرِّفِ وَالْمُنْعِمِ وَالْمُصْلِحِ وَالْمُرْتِي، وَهُوَ مَنْ خَلَقَ وَرَزَقَ وَدَبَّرَ وَأَبْرَمَ وَأَتَقَنَ، قَائِمٌ بِذَاتِهِ، الْغَنِيُّ عَمَّنْ سِوَاهُ، الْمُفْتَقِرُ إِلَيْهِ مَا سِوَاهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهَذَا حَقِيقَةُ الرَّبُوبِيَّةِ وَهُوَ مَعْنَى كَوْنِهِ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَكَوْنُهُ الْقَيُّومُ الْقَائِمُ بِتَدْبِيرِ أُمُورِ عِبَادِهِ، فَلَا خَلْقَ وَلَا رِزْقَ وَلَا عَطَاءَ وَلَا مَنَعَ وَلَا قَبْضَ وَلَا بَسْطَ وَلَا مَوْتَ وَلَا حَيَاةَ وَلَا ضَلَالَ وَلَا هُدًى وَلَا سَعَادَةَ وَلَا شَقَاوَةَ إِلَّا بَعْدَ إِذْنِهِ، وَكُلَّ ذَلِكَ بِمَشِيئَتِهِ وَتَكْوِينِهِ إِذْ لَا مَالِكَ غَيْرِهِ وَلَا مُدَبِّرَ وَلَا مُتَصَرِّفَ فِي خَلْقِهِ سِوَاهُ وَلَا رَبَّ غَيْرَهُ فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ رَبُّ الْأَرْيَابِ، يَمْلِكُ الْمَالِكَ وَالْمَمْلُوكَ، وَهُوَ خَالِقُ ذَلِكَ وَرَازِقُهُ، وَكُلَّ رَبِّ سِوَاهُ غَيْرِ خَالِقٍ وَلَا رَازِقٍ^(٢).

٢. **توحيد الربوبية:** هو الإقرار بأنَّ الله ربَّ كلِّ شيءٍ وَمَالِكُهُ وَخَالِقُهُ وَرَازِقُهُ، وَأَنَّهُ هُوَ الْمُحْيِي الْمُمِيتُ النَّافِعُ الضَّارُّ الْمُتَقَرِّدُ بِإِجَابَةِ الدُّعَاءِ عِنْدَ الْاضْطِرَارِّ، الَّذِي لَهُ الْأَمْرُ كُلُّهُ وَبِيَدِهِ الْخَيْرُ كُلُّهُ، الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ لَيْسَ لَهُ فِي ذَلِكَ شَرِيكَ^(٣).

المطلب الثالث

خصائص توحيد الربوبية

١. أن توحيد الربوبية هو توحيد العلم والاعتقاد وهو مُستلزم لتوحيد الألوهية الذي هو التوحيد العملي، بِمَعْنَى أَنَّ الْإِيمَانَ بِوَحْدَانِيَّةِ الرَّبِّ الْخَالِقِ الرَّازِقِ الْمُحْيِي الْمُمِيتِ وَبِكَافَّةِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، يَسْتَلْزِمُ الْمُوَحِّدَ أَنْ يَعْبُدَ اللَّهَ وَيُوَحِّدَهُ فِي أَلُوْهِيَّتِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ

(١) الصفات الذاتية: هي الصفات التي تكون ملازمة لذات الخالق، أي انه متصف بها أولاً وأبداً ولا تفارق ذاته.

(٢) ينظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد بن علي الحكي (ت: ١٣٧٧هـ)، المحقق :

عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم - الدمام ، ط١ ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م ، ١/ ٢١٨ ، وفتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد، حامد بن محمد بن حسين بن محسن، المحقق: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار المؤيد، ط١ ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م ، ص٤٣٥ .

(٣) ينظر: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (ت: ١٢٣٣هـ)، المحقق: زهير الشاويش، المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق، ط١ ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م ، ص١٧ .

وتعالى احتج على المشركين الذين أخلوا بتوحيد الألوهية بإقرارهم بالربوبية كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾^(١)، فأمر سبحانه وتعالى بعبادته وذكر البرهان على أنه مستحق للعبادة وهو قوله: ﴿ الَّذِي خَلَقَكُمْ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾^(٢).

٢. أن في توحيد الربوبية الاعتقاد الجازم بأن الله وحده هو رب كل شيء ومليكه وهو الخالق الرازق المحيي المميت ، وهو المتفرد بهذا الكون بمشيئته المطلقة وليس معه رب آخر يشركه في ملكه.

٣. أن إقرار الناس بالربوبية أسبق من إقرارهم بتوحيد الألوهية، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهُ ﴾^(٣) فأخبرهم أنهم مقررون بتوحيد الربوبية وأنهم مخلصون له الدين إذا مسهم الضر في دعائهم واستعانتهم، ثم يعرضون عن عبادته في حال حصول أغراضهم^(٤).

٤. أن توحيد الربوبية قد أقر به المشركون كما قال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾^(٥) ، ولذلك نرى أن مشركي العرب ومن سبقهم من الأمم كانوا مقررين بتوحيد الربوبية، لأن دلائل ربوبيته واضحة ظاهرة في كل شيء.

وقال المقريري : "ولا ريب أن توحيد الربوبية لم ينكره المشركون، بل أقرّوا بأنه سبحانه وحده خالقهم، وخالق السموات والأرض، والقائم بمصالح العالم كله، وإنما

(١) سورة البقرة: الآية: ٢١.

(٢) سورة الزخرف: من الآية: ٨٧.

(٣) سورة الإسراء: من الآية: ٦٧.

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى: ١٤/١٥-١٥.

(٥) سورة الزخرف: الآية: ٨٧.

أنكروا توحيد الألوهية" ثم قال: "من عدل به غيره فقد أشرك في ألوهيته ولو وحد في ربوبيته، فتوحيد الربوبية هو الذي اجتمعت فيه الخلائق مؤمنها وكافرها، وتوحيد الألوهية مفترق الطرق بين المؤمنين والمُشركين"^(١).

فلأن الإقرار بالربوبية كان مسلماً به عند المُشركين، ولم يُرسل الله رسلاً لتحقيق هذا التوحيد، ولم تعرض له الكتب السماوية كما عرّضت لتوحيد العبادة لأنه تحصيل حاصل.

المطلب الرابع

اليتم في اللغة والاصطلاح

أولاً: **اليتم في اللغة:** اليتم: الإنفراد، واليتم في الناس: فقدان الأب، وفي البهائم من قبل الأم. فاليتم: الذي مات أبوه، فهو يتيماً حتى يبلغ، والجمع أيتام، ويتامى، ويتمة ولا يُقال لمن فقد الأم من الناس يتيماً^(٢).

ثانياً: **اليتم في الاصطلاح:** هو من مات أبوه قبل بلوغه، أما من ماتت أمه قبل بلوغه فليس يتيماً شرعاً ولا لغة^(٣)، وكذلك إذا بلغ خرج عن كونه يتيماً كما في الحديث الذي يرويه علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ: (لا يتم بعد احتلام)^(٤).

-
- (١) تجريد التوحيد المفيد، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقرئ (ت: ٨٤٥هـ)، المحقق: طه محمد الزيني، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص ٢٠-٢١.
- (٢) ينظر: الصحاح، الجوهري، ٢٠٦٤/٥، ومعجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ١٥٤/٦، ولسان العرب، ابن منظور، ٦٤٥/١٢، باب (يتم).
- (٣) التوضيح الرشيد في شرح التوحيد المذيل بالتنفيذ لشبهات العنيد، أبو عبد الله خلدون بن محمود بن نغوي الحقوي، ص ١٩٩.
- (٤) أخرجه أبو داود في سننه، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت: ٢٧٥هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط ١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، كتاب الوصايا، باب ما جاء متى ينقطع اليتيم، ٤/٤٩٦ برقم (٢٨٧٣) قال: شعيب الأرنؤوط: الحديث حسن لغيره.

المبحث الثاني

التسلسل الزمني ليعتم النبي محمد ﷺ

بعد البحث والتتبع والاستقراء في سيرة المصطفى ﷺ وفق التسلسل الزمني للأحداث مذكر حملته أمه الى أن بلغ بالدعوة والرسالة يظهر جلياً أن عناية الله تعالى كانت تحيط به وترعاه، وقبل أن نبيّن هذه الرعاية الالهية لا بد من أن نستجلي الحكمة الالهية التي اقتضت أن تكون بعثته في هذه البقعة المباركة من العالم، وهي جزيرة العرب - التي فيها بيت الله العتيق - التي نشأ فيها واختاره الله من أهلها، وأن تكون نشأة دعوة النبي ﷺ على يد أهل هذه البقعة، وهم العرب قبل غيرهم.

فلا بد أن نعلم شيئاً عن خصائص العرب وطباعهم قبل الاسلام مع ما كانت تعاني منه الأمم المختلفة الأخرى من انحلال واضطراب في العقائد والسلوك فجزيرة العرب كانت هادئة منعزلة عن هذه الاضطرابات فلم يكن لأهلها من الترف واللهم كما لغيرهم من الفرس الذين كانوا يتفنون في خلق وسائل الانحلال والانحطاط الخلقي ووضعها في قوالب من الدين ، كما لم يكن للعرب ما كان للرومان من التسلط العسكري ، ولم يكن لهم ما كان لليونان من الغور في الفلسفة والجدل الذين أصبحوا فريسة للأساطير والخرافات . فالعرب كالمادة الخام تتراءى فيهم الفطرة الانسانية السليمة وميلهم الى الاتجاهات الانسانية الحميدة كالوفاء والعفة والنجدة والاخلاق الحميدة ، إلا أنهم كانوا بحاجة الى المعرفة التي تكشف لهم الطريق للوصول الى كمال هذه الصفات وهي المعرفة بالله تعالى ، فبعث الله تعالى النبي الأمي من بين أظهرهم ليكون الإمتداد لهذه الاتجاهات الحميدة ، ليخرجهم من الضلال الى النور بعد أن كانوا فيه، وقد وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴾^(١).

(١) سورة البقرة: من الآية: ١٩٨.

فإذا تصوّرنا حالة العرب قبل الإسلام وقارّناها مع حالة الأمم الأخرى المحيطة بها سهل علينا أن نستجلي الحكمة الإلهية التي اقتضت أن تتشرّف هذه البقعة من العالم بمولد النبي ﷺ وبعثته ، ويكون العرب هم الطليعة الأولى التي تحمّل الدعوة الى الله تعالى . ومن الحكمة من هذا الاختيار أن يكون الرسول ﷺ أمياً لا يتلو من كتاب ولا يخطه بيمينه حتى لا يرتاب الناس في نبوته ورسالته ولا يشك أحد في دعوته، ومن الحكمة أيضاً أن يولد هذا النبي ﷺ يتيم الأب إذ يموت والده وهو في بطن أمه ثم بعد ولادته بست سنين يفقد أمه ويصبح في مرحلة اليتيم الحقيقي، ويكفله بعد وفاة أمه جدّه عبد المطلب ، ثم بعد ذلك يتولاه بالكفالة والرعاية عمّه أبو طالب.

اقتضت إرادة الله تعالى أن يولد النبي محمد ﷺ يتيماً وأن يتوقّى من كان مسؤولاً عن رعايته وكفالاته الواحد تلو الآخر حتى تكون معجزة النبوة والشرعية الإسلامية واضحة في الأذهان ، وأن تكون رعايته وكفالاته من الله سبحانه وتعالى بعيداً عن الذراع التي تمعن في تدليله وتتعيمه.

المطلب الأول

حملة وولادته

ختار الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ من أزكى القبائل وأفضل البطون وأطهر الأصلاب ، فما تسلّل شيء من أدران الجاهلية الى شيء من نسبه، فرفع الله عز وجل قدر نبينا ﷺ، وصانته عن نكاح الجاهلية ، ونقله من الأصلاب الطاهرة الى الأرحام الزكية بالنكاح الصحيح ، من لدن آدم ، بنقله في أصلاب الأنبياء ، وأولاد الأنبياء ، حتى أخرجه بالنكاح الصحيح^(١)، قال رسول الله ﷺ في نسبه: ((خَرَجْتُ مِنْ نِكَاحٍ، وَلَمْ

(١) ينظر: الشريعة، أبو بكر محمد بن عبد الله الأجزري البغدادي (ت: ٣٦٠هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله بن عمر

بن سليمان الدميحي، دار الوطن - الرياض / السعودية، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ٣/١٤١٧.

أَخْرَجَ مِنْ سِفَاحٍ، مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى أَنْ وَلَدَنِي أَبِي وَأُمِّي))^(١) وقال ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ))^(٢).

ظَهَرَتْ رِعَايَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ قَبْلَ مَوْلَدِهِ بِصُورٍ عَدِيدَةٍ مِنْهَا: اخْتِيَارُ أَبِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَزَوَاجُهُ مِنْ أَمْنَةَ بِنْتِ وَهَبٍ أُمِّ النَّبِيِّ ﷺ وَهُمَا يَلْتَقِيَانِ فِي جَدِّهِمَا كِلَابٍ وَهُوَ مَجْمَعُ نَسَبِهِمَا وَكِلَاهُمَا يَرْجِعُ نَسَبُهُ إِلَى عَدْنَانَ وَهُوَ مِنْ وَلَدِ نَبِيِّ اللَّهِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَهُوَ نَسَبٌ كَرِيمٌ جَامِعٌ لِسَائِرِ أَسْبَابِ الْفَضْلِ وَالرَّفْعَةِ، فَقَدْ تَمَيَّزَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بِالْعِفَّةِ وَالطُّهْرِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ، رُوي أَنَّ كَاهِنَةً بِمَكَّةَ يُقَالُ لَهَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مَرْءٍ بِهَا عَبْدُ الْمُطَّلِبِ وَمَعَهُ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ، وَكَانَ يُرِيدُ أَنْ يُزَوِّجَهُ أَمْنَةَ بِنْتَ وَهَبٍ، فَرَأَتْ نُورَ النُّبُوَّةِ فِي وَجْهِ عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَتْ: هَلْ لَكَ أَنْ تَغْشَانِي وَتَأْخُذَ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، فَعَصَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ إِبَاجَتِهَا وَقَالَ لَهَا:

أَمَّا الْحَرَامُ فَالْمَمَاتُ دُونَهُ ... وَالْحِلُّ لَا حِلَّ فَاسْتَبَيْنَهُ

فَكَيْفَ بِالْأَمْرِ الَّذِي تَبْغِينَهُ ... يَحْمِي الْكَرِيمَ عِرْضَهُ وَدِينَهُ

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين - القاهرة، ٨٠/٥ رقم (٤٧٢٨)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد، ٢١٤/٨: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه محمد بن جعفر بن محمد بن علي، صحح له الحاكم في المستدرک وقد تكلم فيه، وبقيّة رجاله ثقات.

(٢) أخرجه الامام مسلم في صحيحه، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة، ١٧٨٢/٤ رقم (٢٢٧٦).

فلما تزوجت به أمنة وحملت منه برسول الله ﷺ قال لها: هل لك فيما قلت، فلم تر ذلك النور في وجهه، فقالت له: قد كان ذلك مرةً فاليوم لا، ماذا صنعت؟ فقال: زوجني أبي أمنة بنت وهب الزهرية، فقالت: قد أخذت النور الذي كان في وجهك، وأنشأت تقول:

الآن قد ضيعت ما كان ظاهراً ... عليك وفارقت الضياء المبارك

غدوت علي خالياً فبدلتُهُ ... لغيري هتياً فألحقن بنسائيكا^(١)

وهكذا وضع الله عز وجل رسوله في موضع يحمل معه شرف سلسلة طويلة كريمة الخلق والسلوك طيبة الشأن والذكر، وهو اصطفاء من الله تعالى، فكان نور النبوة ظاهراً في آبائه، ثم لم يشركه في ولادته من أبويه أخ ولا أخت لانتهاء صفوتيها إليه وفُصُور نسبهما عليه، ليكون مختصاً بنسب جعله الله تعالى للنبوة غايةً، ولتفرده بها آية فيزول عنه أن يشارك فيه ويماثل به^(٢).

وفي حمل أمنة بنت وهب قالت: لقد علقت به - تعني رسول الله ﷺ - فما وجدت له مشقة حتى وضعته، فلما فصل مني خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب، ثم وقع إلى الأرض معتمداً على يديه، ثم أخذ قبضة من التراب فقبضها ورفع رأسه إلى السماء^(٣).

(١) أعلام النبوة، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، دار

ومكتبة الهلال - بيروت، ط ١، - ١٤٠٩ هـ، ص ٢٠١.

(٢) أعلام النبوة، الماوردي، ص ٢٠٢، و المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، (ت: ٩٢٣هـ)، المكتبة التوفيقية، القاهرة - مصر، ٥٩/١.

(٣) السيرة النبوية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م، ص ٢٠٧، والخصائص الكبرى، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ٧٢/١.

وقالت أيضاً: رأيتُ حينَ حَمَلتُ بِهِ، أَنَّهُ خَرَجَ مِنِّي نُورٌ أَضَاءَ لِي قُصُورَ بُصْرِي مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، ثُمَّ حَمَلْتُ بِهِ، فَوَ اللَّهِ مَا رَأَيْتُ مِنْ حَمَلٍ قَطُّ كَانَ أَخَفَّ عَلَيَّ وَلَا أَيْسَرَ مِنْهُ، وَوَقَعَ حِينَ وَلَدْتَهُ وَاتَّهَ لَوَاضِعٌ يَدِيهِ بِالْأَرْضِ، رَافِعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ.

وَأَخْرَجَ الْبِيهَقِي فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ: لَمَّا كَانَتْ اللَّيْلَةُ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ارْتَجَسَ إِيوَانُ كِسْرَى، وَسَقَطَتْ مِنْهُ أَرْبَعُ عَشْرَةِ شُرْفَةٍ، وَحَمَدَتْ نَارُ فَارِسَ، وَلَمْ تَخمد قَبْلَ ذَلِكَ بِأَلْفِ عَامٍ، وَغَاضَتْ بُحِيرَةُ سَاوَةَ، وَرَأَى الْمُوِيزَانُ^(١) إِبِلًا صِعَابًا، تَقُودُ حَيَلًا غُرَابًا، قَدْ قَطَعَتْ دِجْلَةَ وَانْتَشَرَتْ فِي بِلَادِهِمْ^(٢).

إِنَّ هَذِهِ الْإِرْهَاصَاتِ الَّتِي حَصَلَتْ عِنْدَ مَوْلَدِهِ ﷺ تُشِيرُ إِلَى حَدُوثِ أَمْرٍ جَدِيدٍ يَتَأَثَّرُ بِهِ الْعَالَمُ كُلُّهُ وَيَصِلُ نَفْعُهُ إِلَى كُلِّ مَكَانٍ فِي الْأَرْضِ، وَهَذِهِ بِتَقْدِيرٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَإِشَارَاتٍ عَلَى أَنَّ هَذَا الْمَوْلُودَ سَيَكُونُ لَهُ شَأْنٌ فِي تَغْيِيرِ مَسَارِ الْحَيَاةِ لَيْسَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ فَحَسَبَ بَلٍّ عَلَى مُسْتَوَى الْعَالَمِ بِأَجْمَعِهِ، وَكَانَتْ عَلَامَاتٌ تُشِيرُ إِلَى شَيْءٍ مَا سَيَحْصُلُ أَلَا وَهُوَ بَعَثُهُ بَعْدَ بُلُوغِهِ سِنِ الْأَرْبَعِينَ، لِأَنَّ الدُّنْيَا بِحَاجَةٍ إِلَى رِسَالَةٍ تُحْيِيهَا، وَأَنَّ صَاحِبَ الرِّسَالَةِ هُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ.

المطلب الثاني

وفاة أبيه وهو في بطن أمه (سنة كونية)

بَدَأَتْ رِحْلَةُ الْيُتَمِّ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ بِوَفَاةِ أَبِيهِ فَقَدْ مَاتَ أَبُوهُ وَهُوَ حَمَلٌ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِالْمَدِينَةِ عِنْدَ أَخْوَالِهِ مِنْ بَنِي النَّجَارِ، عِنْدَمَا خَرَجَ إِلَى الشَّامِ فِي عِيرٍ مِنْ عِيرَاتِ قُرَيْشٍ يَحْمِلُونَ تِجَارَتَهُمْ، وَلَمَّا فَرَّغُوا مِنْهَا مَرَّوْا بِالْمَدِينَةِ وَعَبَدَ اللَّهُ يَوْمَئِذٍ مَرِيضٌ،

(١) الموبذان: عند الفرس معناه القاضي، أو المفتي، ينظر: النهاية في غريب الأثر، ٣٦٩/٤.

(٢) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جَرْدِي الخُرَاسَانِي، أبو بكر البيهقي

(ت: ٤٥٨هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٠٥ هـ، ١/١٢٦-١٢٧.

فقال: أتخلف عند أخوالي بني عدي بن النجار ، فأقام عندهم مريضاً شهراً، ومضى أصحابه فقدموا مكة فسألهم عبد المطلب عن ابنه عبدالله فقالوا: خلفناه عند أخواله في المدينة وهو مريض، فبعث إليه عبد المطلب أكبر ولده الحرث فوجده قد توفي^(١)، وكان خبر وفاته على أبيه وأخوته مؤلماً ، وكان عمره عند وفاته خمساً وعشرين سنة^(٢)، ولم يترك عبدالله مالا يورثه لزوجته وولده.

إن مولد النبي ﷺ يتيماً فقيراً كان لحكمة أرادها الله تعالى ، فاليتم بحد ذاته منقصة للوليد وخاصة في مجتمع يتفاخر بالأنساب والأحساب ، وإن نشأة الوليد بعيداً عن أبيه يعيش منعزلاً قد لا يحسن معاملة الناس ، وينموا ضعيفاً في بدنه وسلوكه ، ولا يتمكن من مواجهة المصاعب بمفرده، وإذا كان اليتيم فقيراً فإنه يعيش مهملاً لا يهتم به أحد ، وإن اهتم به فلتسخير واستغلاله.

فاليتيم بحاجة الى حنان الأبوة ليربيه طِفلاً ويتعهده غلاماً ويوجهه شاباً يافعاً يدفعه الى غمار الحياة رجلاً مسؤولاً ، فهو بحاجة الى رعاية شاملة حتى أنه يحتاج الى من ينصره ويعينه في مواجهة المخاطر.

فاليتيم لا ينال التعليم الذي يريده ، ولا يتمكن من نيل الأعمال التي يرغبها ، وهو يعيش حياة العزلة والإهمال مما يؤثر على خلقه وسلوكه.

(١) عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير ، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد ، ابن سيد الناس ، اليعمري الربيعي ، أبو

الفتح ، فتح الدين (ت: ٧٣٤هـ) ، تعليق: إبراهيم محمد رمضان ، دار القلم - بيروت ، ط١ ، ١٤١٤/١٩٩٣ ، ٣٢/١ .

(٢) سبل الهدى والرشاد ، في سيرة خير العباد ، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد ، محمد بن يوسف

الصالح الشامي (ت: ٩٤٢هـ) ، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب

العلمية بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م ، ٣٣١/١ .

لذلك كانت وصية الله تعالى باليتامى بقوله سبحانه: ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ^(١) ، والآيات كثيرة والأحاديث معها مبيّنة وشارحة كلّها تدور حول الاهتمام باليتيم حتى لا يكون اليتيم سبباً في ضياعه، وهذه الآيات تجعل المسلم يُراقب الله في معاملتهم ويُطيع الله في حسن رعايتهم والإحسان اليهم، فهي تدعو الى حسن مُعاملة اليتيم وعدم القسوة معه مع ضرورة المُحافظة على مال اليتيم ، كما تدعو الى العمل على اصلاح اليتيم والعناية بتربيته وتوجيهه نحو الخير والفلاح، حتى يجد من يُعوّضه فقدان الأب والأم. وهذا الأمر يكون مع عموم الناس أما بالنسبة للأنبياء في صُغرهم فله وضعه الخاص ، لأنّ الله تعالى يصطفيهم بعلمه وإرادته ويُرِيهم بقدرته ومَعُونته، ومع قدرة الله تتوقف سنن الكون ويبقى الأمر الإلهي هو الحاكم.

فهذا موسى عليه السلام ولدته أمّه وخافت عليه من أن يقتله فرعون فألهمها الله تعالى أن تضعه في صندوق وتُرميه في النهر وتترك الأمر بعد ذلك لله، لقد أجابَ القدر بإعجازِ الهيِّ حكيمٍ عن التساؤلات التي كانت تدور في رأس أمّ موسى عن مصير هذا الطفل الصّغير فقد وصل الصندوق الى بيت فرعون ، واتّخذهُ وزوجته ابناً لهما ، وأعادهُ الى أمّه لِتَرْضِعَهُ، ثم أعادته وسلّمته الى فرعون لِتُربِّيَهُ تربية خاصة، فمن كان يتصور أنّ إلقاء أمّ موسى لولدها في النهر هو سبب النجاة له ومن يعقل أنّ فرعون بحذره من الذين يولدون ذكوراً في ذلك اليوم هو الذي ربّى موسى عليه السلام ، وخلّصه من الضعف واليُتَم والحاجة، وأين تربّى يوسف عليه السلام ، ألم يتربّى في بيت فرعون بعد أن تأمر عليه إخوته وألقوه في غيابة الجُبّ، وهل ربّاه أبوه مع أنّه كان حيّاً، وكيف وُلِدَ عيسى عليه السلام وتربّى وهو ليس له أبّ أصلاً ، إنها رعاية الله لأنبيائه.

فالأنبياء صناعة ربّانية ، ولذلك يُوجدُهم الله تعالى في مواصفات مُعينة وفق حِكمته ومشيئته.

ومن هنا كان في يتم النبي ﷺ حكمة يُريدها الله تعالى ويتفضل بها على رسوله الأمين أوجزت بقوله تعالى: ﴿لَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾^(١) تشير هذه الآية الى أنّ النبي ﷺ ولد يتيماً إلاّ أنّه في رعاية الله تعالى ، وبرغم يتمه إلاّ أنّ الله تعالى قد أحاطه بالايواء الشامل ، وظهر ذلك من خلال أنّ كلّ مَنْ رآه أحبّه بدءاً بمراضيعه ومن شاركوه في طفولته وشبابه ورجولته، وهذه الرعاية الإلهية أغنت النبي ﷺ عن رعاية الوالد الحنون. والحكمة من هذه الرعاية الإلهية أنّ إرادة الله تعالى أوجبت أن ينشأ محمد ﷺ مُحاطاً برعاية الله منذ اللحظة الأولى لمولده ، حتّى لا تفسر خيرات هذه الرعاية للنبي ﷺ بسبب أبيه أو أمّه أو بتأثير مال أو جاه.

ومن الحكمة أيضاً أنّه ولد يتيماً فقيراً كي لا يُقال أنّ محمداً ﷺ أخذت تعاليم النبوة من أبيه أو أمّه، ولو كان عبدالله والد النبي ﷺ حياً لسهل على كفار مكة وهم يتربصون به للطعن في دعوته وصدّه عنها، ادّعواهم أنّه المُعلم لولده ، وأنّ الوحي الذي ينزل عليه من كلامه وتأليفه ، لكنّ الله سبحانه قطع عليهم هذا الطريق بوفاة أبيه عبدالله ومولد محمد ﷺ بعد وفاة أبيه.

ففي ولادة النبي ﷺ محمد يتيماً تأكيد لحقيقة عقائدية هي أنّ الأمور كلّها بقدر الله تعالى ، وليس للإنسان في عمله إلاّ الكسب ، والله خالق كلّ شيء.

(١) سورة الضحى: الآية: ٦.

المطلب الثالث

رضاعة النبي ﷺ في ديار بني سعد

بَعْدَمَا وَضَعَت السَيِّدَةُ آمَنَةُ بِنْتُ وَهَبٍ وَلَيْدَهَا أَرْسَلَتْ إِلَى جَدِّهِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ وَأَخْبَرَتْهُ بِوِلَادَةِ حَفِيدِهِ ، فَسُرَّ كَثِيرًا وَجَاءَهَا وَأَخَذَهَا وَدَخَلَ بِهِ الْكَعْبَةَ وَسَمَّاهُ مُحَمَّدًا ، وَلَمَّا سُئِلَ عَنْ سَبَبِ تَسْمِيَّتِهِ بِهَذَا الْإِسْمِ مَعَ أَنَّهَا لَمْ تَوْجِدْ فِي أَصُولِهِ أَوْ فِي أَقْرَبَائِهِ قَالَ: رَجَوْتُ أَنْ يُحْمَدَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ^(١).

وَسَمِّيَ بِذَلِكَ إِلْهَامًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَقَدْ حَقَّقَ اللَّهُ رَجَاءَهُ ، فَإِنَّ اللَّهَ حَمَدَهُ حَمْدًا كَثِيرًا بِالْغَايَةِ الْكَمَالِ ، وَكَذَلِكَ الْمَلَائِكَةُ وَالْأَنْبِيَاءُ وَالْأَوْلِيَاءُ فِي كُلِّ حَالٍ ، وَأَيْضًا يَحْمَدُهُ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ وَهُمْ تَحْتَ لَوَائِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ الشَّفَاعَةِ الْعُظْمَى.

وَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِ أُمُّهُ تُرْضِعُهُ لِمُدَّةِ سَبْعَةِ أَيَّامٍ ، كَمَا أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ بِالرَّفَقِ وَالْحَنَانِ بِانْتِظَارِ مُرْضِعَةٍ تَسْتَلِمُهُ لِنَقُومِ بِتَرْبِيَّتِهِ فِي الْبَادِيَةِ ، حَيْثُ الْخَلَاءُ الْوَاسِعُ وَبَسَاطَةُ الْحَيَاةِ وَفِطْرَةُ النَّاسِ ، وَعَلَى عَادَةِ أَهْلِ مَكَّةَ كَانُوا يُسَلِّمُونَ أَوْلَادَهُمْ بَعْدَ وِلَادَتِهِمْ لِمُرْضِعَاتٍ مِنَ الْبَادِيَةِ لِقَاءَ أَجْرِ وَرَزْقٍ ، بِقَصْدِ تَرْبِيَةِ أَبْنَائِهِمْ فِيهَا لِيَنْشِئُوا أَقْوِيَاءَ الْبِنْيَةِ أَصِحَّاءَ فُصَحَاءَ اللِّسَانِ حَسَنِي الْأَخْلَاقِ ، يَتَمَيِّزُونَ بِهَدْوِ الطَّبْعِ وَاسْتِقْرَارِ النَّفْسِ وَشَجَاعَةِ السُّلُوكِ وَحُبِّ التَّعَاوُنِ ، وَهَذِهِ الْعَوَامِلُ أَرَادَهَا اللَّهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ فَأَرْضَعَتْهُ حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّةِ وَنَشَأَ فِي دِيَارِ بَنِي سَعْدٍ لِيَسْتَفِيدَ بِمَا أَرَادَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ.

إِنَّ حِكْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى وَمَشِيئَتَهُ فِي إِرْضَاعِ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَنِي سَعْدٍ تَضِيفُ فَصْلًا جَدِيدًا مِنْ تَكْرِيمِ اللَّهِ تَعَالَى لِعَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَكَانَ مِنْ تَكْرِيمِ اللَّهِ تَعَالَى لِحَلِيمَةِ السَّعْدِيَّةِ أَنْ جَعَلَ بَرَكَةَ وَجُودِ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَيْتِهَا وَمِنْ نَصِيبِهَا ، حَيْثُ تَرَوِي كَيْفِيَّةَ مَجِيئِهَا مِنْ

(١) منتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول ﷺ ، عبد الله بن سعيد بن محمد عبادي اللّحجي الحضرمي الشحاري، ثم المراوعي، ثم المكي (ت: ١٤١٠هـ)، دار المنهاج - جدة، ط٣، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م ، ١/١٥٤.

الطائف الى مكة لأخذ الأولاد وإرضاعهم ، وما كانت تُعانيه من قلة الحليب وقلة المؤونة وفقر الحال وضعف شياهاها ، وكيف أصبح حالها بعد أخذه فقد درّ حليبها وشرب منها النبي ﷺ وشرب ابنها التي كانت تُرضعه مع النبي فشربا وشبعا ثم ناما ، وشارفهم^(١) درّ عليهم بالحليب فشربا هي وزوجها حتى شبعا، وظهرت البركة أيضاً عند ركوبها أتانها وحملت النبي ﷺ معها وتقول: فوالله لقطعت بالركب ما يقدر عليها شيء من حُمُرهم^(٢)، وعند قدومهم الى منازلهم في بني سعد ، وما كان أجذب من أرضهم أرضاً حتى أصبحت غنمهم بعد مجيء النبي ﷺ معهم تروح عليهم شبعا لبناً فيحلبون ويشربون، وغيرهم تروح أغنامهم جياعاً هالكة ما بها من لبن.

واستمرت تُرضعه حتى مضى على إرضاعه سنتان وفصلته ، وكان يشبّ شاباً لا يشبه الغلمان ، فكان صلى الله عليه وسلم يشبّ في اليوم شباب الصبي في شهر ، ويشبّ في الشهر شباب الصبي في سنة فبلغ ستاً وهو غلام جفر^(٣).

إنّ رعاية الله تعالى مُستمرة مع رسول الله ﷺ من خلال البركة التي تحلّ بحليمة حيث أخصبت أرضها الجذباء ودرّ لبن إبلها وصارت ترى النعيم في كلّ شؤونها، وبعد بلوغه السنتين من العمر وفصلته، عادت به حليمة الى أمّه آمنة بنت وهب في مكة ، ولم تكن حليمة سعيدة بإعادته الى أمّه لأنها كانت تخاف أن يتوقّف الخير الذي تدفق عليها ، وبعد وصولها الى مكة عرضت على أمّه أن تعود بمحمد ﷺ الى ديارها مرة

(١) الشارف: هي المسنة من النوق ولا يُقال للذكر شارف ، غريب الحديث، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ) المحقق: د. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني - بغداد، ط١، ١٣٩٧هـ، ٤٨٦/١.

(٢) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين

(ت: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي

الحلبي وأولاده بمصر، ط٢، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م، ١/١٦٣ - ١٦٤.

(٣) جفر: هو الذي قوي على الأكل واتسع جوفه وقد استجفر. الفائق في غريب الحديث ٢٢١/١.

ثانيةً لتستمر هذه البركة، وليبتعد عن وباءٍ قد حلَّ في مكّة فوافقتها أمانة على ذلك وأعادته معها، وأملت أمّه أن يزداد محمد ﷺ نضارةً وازدهاراً وتُموأ في بدنه وعقله وشخصيته ليُشب رجلاً له قدره ومنزلته، وبقي عندها حتى بلغ عمره خمس سنواتٍ وشهراً وأعادته الى أمّه ، ولم تره بعد ذلك إلاّ مرّتين الأولى بعد تزوّجه من خديجة والثانية يوم حنين. وقد أوصت أمانة بنت وهب مرضعت النبي ﷺ حليمة وعرفتها بما حصل لها في حملها به وولادتها وبيّنت لها ما رأت من كرامات صاحبت مولده وقالت لها: احفظي ابني، وأخبرتها بما رأت، فمرّ بها اليهود فقالت: ألاّ تُحدّثوني عن ابني هذا فإنني حملته كذا ووضعته كذا ورأيت كذا كما وصفت أمّه، فقال بعضهم لبعض: اقتلوه قالوا: أيتيم هو؟ قالت: لا ، هذا أبوه وأنا أمّه فقالوا: لو كان يتيماً لقتلناه^(١). وكان رسول الله ﷺ يشيد برعاية بني سعد وتكريمهم له بقوله: ((أنا أعربكم أنا من قريش ولساني لسان بني سعد بن بكر))^(٢). إنّ هذا الجميل الذي أسداه له بني سعد لم يُنكره رسول الله ﷺ فهو الذي يحفظ الفضل لأهله، وهو الذي أدبه ربّه فأحسن تأديبه، فقد كافأهم في ردّ الجميل بأن أعاد اليهم ما أخذ منهم من غنائم في يوم حنين، وبهذا حافظ رسول الله ﷺ على الخلق الكريم الذي وصفه الله به بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٣) فوقى لأمّه حليمة يوم أتت اليه وأكرم أهلها وقومها يوم وقعوا أسرى عند المسلمين . وعند وجود النبي ﷺ في ديار بني سعد حصل له من إرهافات النبوة وهي حادثة شقّ الصدر، عندما كان يلعب مع الصبيان فأخذه جبريل فصرعه وشق صدره

(١) ينظر: الخصائص الكبرى، السيوطي، ٩٩/١.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: ١٠٣١هـ)، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، ط١، ١٣٥٦هـ، ٤٤/٣.

(٣) سورة القلم: الآية: ٤ .

فاستخرج قلبه واستخرج منه عِلْقَةً سوداء فقال: هذا حَظُّ الشَّيْطَانِ ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءٍ زَمْزَمٍ ثُمَّ لَأَمَهُ ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ ، كما استمرت حادثة شق الصدر لأكثر من مرة^(١)، وفي هذه الحادثة دلالةٌ تشير إلى تعهد الله تعالى نبيه منذ صغره وعلى امتداد عمره ، وإبعاده عن مزالق الطبع ووساوس الشيطان وتلك حصانة حسية لرسول الله ﷺ أضفاها الله تعالى عليه ليعيش طاهر الظاهر والباطن، وأراد سبحانه لهذه الصورة الحسية ليشهد الناس على هذه العجبية الخالدة التي جعلت محمد ﷺ إنساناً قوياً شجاعاً رؤوفاً رحوماً مملوءاً إيماناً، وذلك كله بعناية الله تعالى به ليرتقي في الطهر والسمو في السلوك ويعلو في روحانيته وشفافيته .

فمشيئة الله تعالى اقتضت أن يكون رسول الله ﷺ هو المثل الأعلى للإنسان السوي الذي يسير نحو الكمال بطهارة القلب وصفاء النفس.

المطلب الرابع

وفاة أمه وكفالة جدّه عبد المطلب

أولاً: وفاة أمه:

لاحظت السيدة آمنه بنت وهب بعد عودة محمد ﷺ الثانية من بني سعد وقد بلغ من العمر خمس سنوات، أنه أصبح يتمتع بقوة بدنية وعقلية تفوق أقرانه من الأطفال، ورأت أنها تذهب به إلى يثرب لزيارة أخوال أبيه من بني عدي بن النجار ولتعرف قبر أبيه الذي دُفن في دارهم ، ولتعلم أصوله من جهة أمه كما علمها من جهة أبيه ، فأخذته ومكثت هنالك شهراً كاملاً ليتمكن وليدها الصغير من التعرف بالمكان وأهله ،

(١) ينظر: دلائل النبوة ، البيهقي ، ١٣٦/١، وإمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، أحمد بن علي

بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (ت: ٨٤٥هـ)، المحقق: محمد عبد الحميد النميسي،

دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ٢٣٧/٨، والخصائص الكبرى للسيوطي، ١١٢/١.

وَبَرَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ عَادَاتٍ وَأَدْيَانٍ وَتَقَالِيدٍ مِنْ خِلَالِ لَعْبِهِ مَعَ الصِّغَارِ أَوْ جُلُوسِهِ مَعَ الْكِبَارِ مِنْ أَخْوَالِهِ، وَرُبَّمَا كَانَتْ هَذِهِ الرِّحْلَةُ لِتَأْسِيسِ عِلَاقَةٍ بَيْنَ أَهْلِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ مَعَ هَذَا الطِّفْلِ الصَّغِيرِ وَالَّذِي سَيَكُونُ لَهُ شَأْنٌ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَسَتَكُونُ هَذِهِ الْمَدِينَةُ هِيَ مَكَانَ دَوْلَتِهِ وَدَعْوَتِهِ وَهِيَ مُقَدَّرَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِتَكُونَ أَسَاسَ عِلَاقَةٍ وَمَقَدِّمَاتِ دَعْوَةٍ، وَقَدْ تَكُونُ هَذِهِ الرِّحْلَةُ لِتَأْسِيسِ مَا سَيُؤَوَّلُ إِلَيْهِ حَالُ الدَّعْوَةِ، وَبَقِيَتْ هَذِهِ الرِّحْلَةُ فِي ذَاكِرَةِ النَّبِيِّ ﷺ طَوَالَ حَيَاتِهِ حَتَّى أَنَّهُ لَمَّا هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ بَعْدَ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً نَظَرَ إِلَى أَطْمِ بَنِي النَّجَارِ وَقَالَ: كُنْتُ أَلْعَبُ (أُنَيْسَةً) جَارِيَةً مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى هَذَا الْأَطْمِ، وَكُنْتُ مَعَ غُلَامَانِ مِنْ أَخْوَالِي، وَنَظَرْتُ إِلَى الدَّارِ، فَقَالَ: هَا هُنَا نَزَلْتُ بِي أُمِّي، وَفِي هَذِهِ الدَّارِ قَبْرِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَحْسَنْتِ الْعَوْمَ فِي بَيْتِ بَنِي عَدِي بْنِ النَّجَارِ، وَكَانَ قَوْمٌ مِنَ الْيَهُودِ يَخْتَلِفُونَ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَقَالَتْ أُمُّ أَيْمَنَ: سَمِعْتُ أَحَدَهُمْ يَقُولُ: هُوَ نَبِيُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَهَذِهِ دَارُ هِجْرَتِهِ، فَوَعِيتُ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنْ كَلَامِهِ، ثُمَّ رَجَعْتُ بِهِ أُمَّهُ إِلَى مَكَّةَ^(١). وَلَمَّا عَادَتْ أُمَّهُ إِلَى مَكَّةَ مَاتَتْ فِي الطَّرِيقِ وَعَادَتْ الْقَافِلَةَ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى مَكَّةَ بِلا أَمْنَةٍ، فَاسْتَقْبَلَهَا عَبْدُ الْمُطَّلِبِ وَضَمَّ حَفِيدَهُ إِلَيْهِ فَكَفَلَ مُحَمَّدًا ﷺ وَمَعَهُ حَاضِنَتُهُ أُمُّ أَيْمَنَ تَخْدُمُهُ.

ثَانِيًا: كِفَالَةُ جَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ:

وَيَمُوتُ أُمُّهُ آمَنَةً بِنْتِ وَهَبٍ فَقَدَ النَّبِيُّ ﷺ أَبُويَهُ وَوَجَدَ نَفْسَهُ وَحِيدًا حُرْمًا مِنَ الْأَبَاءِ وَالْأَخْوَةِ، وَلَوْ كَانَ الَّذِي تَعَرَّضَ إِلَى ذَلِكَ شَخْصًا غَيْرَهُ لَأَصَابَهُ الْكَثِيرُ مِنَ الْأَثَارِ إِلَّا أَنَّ عِنَايَةَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَانَتْ مَعَهُ، فَقَدْ هَيَّأَتْ هَذِهِ الْعِنَايَةُ مَنْ يَقُومُ بِرِعَايَتِهِ وَكَفَالَتِهِ، فَقَدْ كَفَلَهُ جَدُّهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ وَقَامَتْ أُمُّ أَيْمَنَ بِرِعَايَتِهِ وَخِدْمَتِهِ الَّتِي كَانَتْ تَخَافُ عَلَيْهِ مِنَ الْيَهُودِ لَمَّا سَمِعَتْ مِنْهُمْ مِنْ حَدِيثٍ عَنْهُ وَعَنْ دَارِ هِجْرَتِهِ فِي يَثْرِبَ. وَكَانَ مِنْ رِعَايَةِ

(١) إمتاع الأسماح، المقرئزي، ١٤٣/٨.

جَدَّ لَهُ أَنَّهُ كَانَ يَدْنُوهُ مِنْهُ وَيُقَرِّبُهُ إِلَيْهِ حَتَّى مِنْ أَبْنَاءِهِ ، كَيْ يَنْشَأَ نَشَأَ الرِّجَالِ الْكِبَارِ ، يَقُولُ فِي ذَلِكَ ابْنُ إِسْحَاقَ : كَانَ يُوَضَّعُ لِعَبْدِ الْمُطْلَبِ جَدُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِرَاشٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ ، فَكَانَ لَا يَجْلِسُ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ بَنِيهِ إِجْلَالاً لَهُ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْتِي حَتَّى يَجْلِسَ عَلَيْهِ ، فَيَذْهَبُ أَعْمَامُهُ يُؤَخِّرُونَهُ ، فَيَقُولُ جَدُّ عَبْدِ الْمُطْلَبِ : دَعُوا ابْنِي ، فَيَمْسَحُ عَلَى ظَهْرِهِ ، وَيَقُولُ : إِنَّ لِبْنِي هَذَا شَأْنًا^(١) . وَهَذَا الْإِهْتِمَامُ وَالرِّعَايَةُ مِنْ عَبْدِ الْمُطْلَبِ جَدِّ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ بِتَقْدِيرِ الْهَيِّ لِرِعَايَةِ هَذَا الْيَتِيمِ وَالْإِهْتِمَامِ بِهِ وَتَنْشِئَتِهِ تَنْشِئَةً صَاحِبَةً لِمَا سَيَكُونُ عَلَيْهِ بَعْدَ بُلُوغِهِ سِنٍ مُعَيَّنَةٍ ، وَلَمَّا كَانَ يَمْتَازُ بِهِ جَدُّهُ مِنْ مَكَانَةٍ فِي فُرَيْشٍ مِمَّا أَمَّنَ لَهُ الْحِمَايَةَ وَحُسْنَ الرِّعَايَةِ ، وَلَمَّا شَعَرَ جَدُّ النَّبِيِّ بِدُنُو أَجَلِهِ أَوْصَى ابْنَهُ أَبَا طَالِبٍ لِكِفَالَتِهِ ، وَكَانَ عُمُرُ النَّبِيِّ ﷺ ثَمَانِ سِنَوَاتٍ .

المطلب الخامس

النبي ﷺ في كفالة عمه أبي طالب وما فيها من أحداث

بَعْدَ وَفَاةِ جَدِّهِ عَبْدِ الْمُطْلَبِ تَوَلَّى كِفَالَتَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ حَتَّى تُحِيطَ هَذَا الْيَتِيمَ رِعَايَةَ اللَّهِ الَّذِي حَفِظَهُ مِنْ ذُلِّ الْيَتَمِ وَضَرَرِ الْفَقْرِ ، وَكَانَتْ كِفَالَةُ أَبُو طَالِبٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَهْيِئَةً الْهَيَّةَ فَهِيَ قَدْرُ الْهَيِّ خَالِصٍ ، لِأَنَّ أَبَا طَالِبٍ كَانَ رَجُلًا كَثِيرَ الْعِيَالِ فَقِيرَ الْحَالِ ، فَكَانَ يُوَضَّعُ الطَّعَامُ لَهُ وَلِلصَّبِيَّةِ مِنْ أَوْلَادِ أَبِي طَالِبٍ فَيَتَطَاوَلُونَ إِلَيْهِ وَيَتَقَاصِرُ هُوَ وَتَمْتَدُّ أَيْدِيهِمْ وَتَنْقَبِضُ يَدُهُ تَكَرُّمًا مِنْهُ وَاسْتِحْيَاءَ وَعِزَّةَ نَفْسٍ وَقَنَاعَةَ قَلْبٍ ، فَيَصْبِحُونَ غَمَصًا رَمَصًا ، مُصَفَرَّةَ أَلْوَانِهِمْ وَيَصْبِحُ هُوَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ السَّلَامُ - صَقِيلًا دَهِينًا كَأَنَّهُ فِي أَنْعَمِ عَيْشٍ وَأَعَزَّ كِفَايَةِ لُطْفًا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ . وَمَعَ هَذَا فَإِنَّ أَبَا طَالِبٍ اِهْتَمَّ بِرِعَايَةِ أَبِيهِ فِي رِعَايَةِ وَكِفَالَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَضَمَّهُ لِأَبْنَائِهِ وَخَصَّهُ بِالرِّعَايَةِ وَالتَّوَجُّهِ ، وَكَانَ يُجَالِسُهُ

(١) سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي) ، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبى بالولاء، المدني (ت: ١٥١هـ)، تحقيق:

سهيل زكار، دار الفكر - بيروت، ط١، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م، ص٦٦.

وَيُنَاقِشُهُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأُمُورِ لِمَا كَانَ يَمْتَازُ بِهِ مِنْ رَجَاحَةِ عَقْلٍ وَنُضُوجِ فِكْرٍ. وَقَدْ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَغَمَ صِغَرِ سِنِّهِ حَاجَةً عَمَّهُ أَبُو طَالِبٍ لِلْمَالِ فَأَخَذَ عَلَى عَاتِقِهِ أَنْ يَعْمَلَ وَيَكْتَسِبَ شَيْئاً يَعْينُ بِهِ عَمَّهُ ، فَاشْتَغَلَ بِالرَّعْيِ لَيْسْتَطِيعَ مِنْ خِلَالِ ذَلِكَ أَنْ يُحَقِّقَ هَدَفَيْنِ أَحَدَهُمَا: الْإِخْتِلَاطَ بِالنَّاسِ وَكَيْفِيَةَ التَّعَامُلِ مَعَهُمْ لِيُنَالِ أَهْلِيَّةَ الرِّسَالَةِ بِصُورَةٍ عَمَلِيَّةٍ تَطْبِيقِيَّةٍ، فَكَلَّمَا اخْتَلَطَ بِالنَّاسِ اكْتَسَبَ مَزِيداً مِنَ الْخِبْرَةِ وَالْمَعْرِفَةِ ، وَالْهَدَفُ الْآخَرُ هُوَ لِمُسَاعَدَةِ عَمِّهِ أَبُو طَالِبٍ الَّذِي كَانَ يُعَانِي مِنْ كَثْرَةِ الْعِيَالِ وَقَلَّةِ الْمَالِ وَأَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ لَا يَكُونَ عَالَةً عَلَى عَمِّهِ. وَفِي هَذِهِ الصِّفَةِ اشْتَرَكَ مَعَ غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَهِيَ لِتَهْيِئَتِهِمْ عَلَى مَا سَيَكُونُونَ عَلَيْهِ عِنْدَ تَكْلِيفِهِمْ بِالنُّبُوَّةِ، مِنْ خِلَالِ التَّعَوُّدِ عَلَى تَحْمِلِ الْمَسْئُولِيَّةِ وَتَعَلُّمِهِمُ الصَّبْرَ وَتَحْمِلِ الشَّدَائِدِ ، وَتَعَلُّمِهِمُ التَّوَاضُّعَ ، وَلِأَنَّ مَهْمَتَهُمْ مَهْمَةٌ تَحْتَاجُ إِلَى الصَّبْرِ وَالْعَمَلِ الدَّوَّوبِ ، وَمِمِّيزَةً أُخْرَى يَكْتَسِبُهَا مَنْ يَرَعَى الْغَنَمَ وَهِيَ الشَّجَاعَةُ ، إِذْ تَتَطَلَّبُ مِنْهُ شَجَاعَةٌ تَعِينُهُ عَلَى حِمَايَةِ أَغْنَامِهِ مِنَ الذِّئَابِ وَاللِّصُوصِ ، وَالْأَنْبِيَاءُ أَكْثَرُ النَّاسِ حَاجَةً إِلَى الشَّجَاعَةِ وَهُمْ يَتَصَدَّى لَهُمْ أَعْدَاؤُهُمْ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ، وَشَجَاعَةٌ تُمَكِّنُهُمْ مِنَ الْقِيَامِ بِوَجَابِ الدَّعْوَةِ ، وَرَبَّمَا كَانَ السِّرُّ فِي اخْتِيَارِ الرَّسُولِ ﷺ لِرَعْيِ الْغَنَمِ دُونَ غَيْرِهَا كَانَ لِكَثْرَةِ عَدِيدِهَا وَسُرْعَةِ حَرَكَتِهَا وَسَهُولَةِ تَفَرُّقِهَا ، لِعَدَمِ رِبْطِهَا أَوْ تَقْيِيدِهَا، وَلِيَتَعَلَّمَ كَيْفِيَّةَ حُسْنِ التَّعَامُلِ مِنْ خِلَالِ ذَلِكَ مَعَ النَّاسِ وَلِيَتَعَلَّمَ قِيَادَتَهُمْ وَهُمْ أَشْتَاتٌ، وَلِيَتِمَكَّنَ مِنْ مُخَاطَبَةِ عُقُولِهِمْ وَالتَّفَاهُمِ مَعَهُمْ بِلَهْجَاتِهِمْ وَلُغَاتِهِمُ الْمُخْتَلِفَةِ.

وَإِقْبَالِهِ عَلَى رَعْيِ الْأَغْنَامِ لِقَصْدِ اكْتِسَابِ الْقُوَّةِ وَالرِّزْقِ فِيهِ دِلَالَاتٌ حَرِيٌّ بِنَا أَنْ نَقِفَ عِنْدَهَا أَوَّلَاهَا: مَا كَانَ يَمْتَازُ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْإِحْسَاسِ وَالذَّوْقِ الرَّفِيعِ اللَّذَّانِ جَمَلَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِمَا خُلُقَ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ مَا كَانَ عَمَّهُ يُحِيطُهُ بِالْعَنَايَةِ التَّامَّةِ، وَكَانَ لَهُ فِي الْحَنُوقِ وَالشَّفَقَةِ كَالْأَبِ الْعَطُوفِ، وَكَانَ يَبْذُلُ جِهْدَهُ لِرَفْعِ بَعْضِ مَا يُمَكِّنُ رَفْعَهُ مِنْ مَوْئِنَةِ الْإِنْفَاقِ عَنْ عَمِّهِ، وَثَانِيهَا: كَانَ سَهْلاً عَلَى الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ أَنْ تُهَيِّئَ لِلنَّبِيِّ ﷺ ، وَهُوَ فِي

صَدَرَ حَيَاتِهِ، مِنْ أَسْبَابِ الرِّفَاهِيَّةِ وَوَسَائِلِ الْعَيْشِ مَا يُغْنِيهِ عَنِ الْكَدْحِ وَرِعَايَةِ الْأَغْنَامِ سَعِيًّا وَرَاءَ الْقُوَّةِ، وَلَكِنَّ الْحِكْمَةَ الْإِلَهِيَّةَ تَقْتَضِي مِمَّا أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ خَيْرَ مَالِ الْإِنْسَانِ مَا اكْتَسَبَهُ بِكَدِّ يَمِينِهِ ، وَشَرِّ الْمَالِ مَا أَصَابَهُ الْإِنْسَانُ وَهُوَ مُسْتَلَقٌ عَلَى ظَهْرِهِ دُونَ أَنْ يَرَى أَيَّ تَعَبٍ فِي سَبِيلِهِ، وَثَالِثُهَا: إِنَّ صَاحِبَ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ أَحْرَى النَّاسِ بِأَنْ يَعْتَمِدَ فِي مَعِيشَتِهِ عَلَى جَهْدِهِ الشَّخْصِيِّ حَتَّى لَا تَكُونَ عَلَيْهِ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ مِئَةٌ أَوْ فَضْلٌ .

إِنَّ هَذَا الْمَنْهَجَ الَّذِي هَيَّأَهُ اللَّهُ لِرَسُولِهِ ﷺ يَنْطَوِي عَلَى هَذِهِ الْحِكْمَةِ وَيُوضِّحُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَرَادَ أَنْ لَا يَكُونَ فِي شَيْءٍ مِنَ حَيَاةِ الرَّسُولِ ﷺ قَبْلَ الْبَعْثَةِ مَا يُعْرِقِلُ سَبِيلَ دَعْوَتِهِ أَوْ يُؤْثِرَ عَلَيْهَا أَيُّ تَأْثِيرٍ سَلْبِيٍّ، فِيمَا بَعْدَ الْبَعْثَةِ. كَانَ أَبُو طَالِبٍ يَهْتَمُّ بِالنَّبِيِّ ﷺ بِرِعَايَةِ رِعَايَةِ الْأَبِ الْحَنُونَ الْمُهِتَمِّ بِابْنِهِ، وَكَانَ يَصْحَبُهُ أَيْنَمَا ذَهَبَ وَكَانَ يُحِبُّهُ حُبًّا شَدِيدًا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحَاجَةٍ إِلَى الْإِخْتِلَاطِ بِالنَّاسِ لِكِتَابَةِ الْمَزِيدِ مِنَ الْخِبْرَةِ وَالْمَعْرِفَةِ بِأَحْوَالِهِمْ وَقَدْ هَيَّأَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ ذَلِكَ مِنْ خِلَالِ رِحْلَتِهِ مَعَ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ إِلَى الشَّامِ وَقِصَّةَ بَحِيرَى الرَّاهِبِ الَّذِي كَانَ لَهُ عِلْمٌ بِأَوْصَافِ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَانَ مِمَّا يَعْلَمُهُ بَحِيرَى أَنَّ النَّبِيَّ سَيَكُونُ يَتِيمًا وَأَنَّهُ مَوْسُومًا بِخَاتَمِ النَّبُوءَةِ ، وَأَنَّ خَوَارِقَ الْعَادَةِ تُحِيطُ بِهِ ، وَأَنَّهُ سَيُلَاقِي كِرَاهِيَّةَ مِنَ الْيَهُودِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَرْغَبُونَ أَنْ تَكُونَ النَّبُوءَةُ فِيهِمْ ، وَأَنَّهُ سَيُعَادِيهِ قَوْمُهُ لِأَنَّهُ سَيَسِفُّهُ أَحْلَامُهُمْ وَيُنْكِرُ عَلَيْهِمْ عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ، وَكَانَ عُمَرُ النَّبِيِّ ﷺ فِي هَذِهِ الرَّحْلَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً. فِي هَذِهِ الرَّحْلَةِ تَمَكَّنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ اسْتِنْعَابِ كُلِّ مَا رَأَى وَسَمِعَ، مِمَّا جَعَلَ الرَّحْلَةَ تَرْبِيَّةً عَمَلِيَّةً وَتَجْرِبَةً اسْتِفَادَ مِنْهَا فِي الْإِخْتِلَاطِ وَالتَّحْلِيلِ وَالْفَهْمِ وَالنَّظَرِ وَالتَّدَبُّرِ، فَقَدْ وَقَعَتْ عَيْنُهُ عَلَى الصَّحَرَاءِ الْوَاسِعَةِ وَرَأَى النُّجُومَ اللَّامِعَةَ فِي السَّمَاءِ، وَمَرَّ بِمُدُنٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا أَحْدَاثٌ ، وَأَخَذَ يَتَأَمَّلُ هَذِهِ الْمَنَازِلَ وَأَخْبَارَهَا وَمَا جَرَى عَلَيْهَا. كَيْفَ لَا يَتَدَبَّرُ ذَلِكَ وَهُوَ الرَّسُولُ الَّذِي كَانَ يَمْتَازُ بِعَظَمَةِ الرُّوحِ وَذِكَاةِ الْقَلْبِ

وَقُوَّةُ الذَّاكِرَةِ وَتِلْكَ الصِّفَاتُ قَدْ حَبَّاهُ اللَّهُ بِهَا تَمْهِيداً لِلرِّسَالَةِ الْخَالِدَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي أَعَدَّ اللَّهُ تَعَالَى لَهَا، الْأَمْرَ الَّذِي جَعَلَ النَّبِيَّ ﷺ يَنْظُرُ مَا حَوْلَهُ نَظْرَةَ الْفَاحِصِ الْمُحَقِّقِ.

المطلب السادس

رحلة النبي ﷺ الى الشام بتجارة خديجة (رضي الله عنها) وزواجه منها

الجَانِبُ الْآخِرُ مِنْ جَوَانِبِ اعْتِمَادِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى نَفْسِهِ فِي كَسْبِ رِزْقِهِ مَعَ مَا كَانَ يَعاينُهُ عَمَّهُ أَبُو طَالِبٍ مِنْ قَلَّةِ الْمَالِ وَكَثْرَةِ الْعِيَالِ، فَقَدْ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ رَعِيَهُ لِلْغَنَمِ لَمْ يَعدُ يُناسِبُهُ بِسَبَبِ قَلَّةِ دَخْلِهِ وَلَا يَفِي بِحَاجَتِهِ وَحَاجَةِ عَمِّهِ وَعِيَالِهِ ، فَأَخَذَ يُفَكِّرُ فِي عَمَلٍ آخِرٍ يُحَقِّقُ لَهُ مَا يَتَمَنَّاهُ ، لَمْ يَطْلُ عَلَيْهِ الْوَقْتُ حَتَّى أَتَاهُ عَمَّهُ أَبُو طَالِبٍ وَعَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يَتَهَيَّأَ لِلْخُرُوجِ إِلَى الشَّامِ مَعَ عَيْرٍ لِقُرَيْشٍ، بَعْدَ أَنْ وَصَفَ لَهُ حَالِ تِجَارَةِ خَدِيجَةَ وَهِيَ امْرَأَةٌ قُرَيْشِيَّةٌ كَثِيرَةُ الْمَالِ، عَرِيقَةُ الْأَصْلِ وَالْحَسَبِ وَالنَّسَبِ كَانَتْ تَتَّجِرُ بِمَالِهَا، وَأَنَّهَا تَبْعَتْ رِجَالاً فِي عَيْرِهَا وَيَتَجَرُّونَ لَهَا فِي مَالِهَا ، وَيُصِيبُونَ مِنْ هَذِهِ التِّجَارَةِ مَنَافِعَ لَهُمْ ، وَأشارَ عَلَيْهِ أَنْ يَعرِضَ نَفْسَهُ عَلَيْهَا ، وَقَدْ رَغِبَ عَمَّهُ أَبُو طَالِبٍ مِنْ ابْنِ أَخِيهِ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى خَدِيجَةَ لِيَتَاَجَرَ فِي مَالِهَا لِشِدَّةِ ثِقَتِهِ بِابْنِ أَخِيهِ ، وَلَمَّا اشْتَهَرَ بِهِ فِي قُرَيْشٍ بِالْأَمَانَةِ وَالصِّدْقِ ، وَلَمَّا عَرَفَ أَيْضاً عَنْ خَدِيجَةَ مِنْ حُسْنِ الْمُعَامَلَةِ وَالْمُسَارَعَةِ فِي إعْطَاءِ الْحَقِّ لِعُمَالِهَا. وَكَانَ يَرَى أَنَّ خَدِيجَةَ سَتُعْطِي مُحَمَّدًا ﷺ مِنَ الْأَجْرِ مَا يُفِيدُهُ فِي تَجَاوُزِ مِحْنَتِهِ بَعْدَ مَا تَرَى مِنْهُ الصِّدْقَ وَالْأَمَانَةَ وَحُسْنَ الْمُعَامَلَةِ، وَقَدْ شَاءَتْ قُدْرَةُ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَتِمَّ الْإِتِّفَاقُ عَلَى ذَهَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ لِلتِّجَارَةِ بِمَالِ خَدِيجَةَ لِيَجُوبَ أَرْضاً يَكْتَشِفُ فِيهَا مَا غَمَضَ عَلَيْهِ وَجْهَهُ، وَلِيُخْرِجَ مِنْ هَذِهِ التِّجَارَةِ بِمَالٍ يُغْنِيهِ وَيَعِينُ بِهِ عَمَّهُ أَبُو طَالِبٍ، وَكَانَتْ هَذِهِ الرِّحْلَةُ رِحْلَةً مُبَارَكَةً ظَهَرَتْ فِيهَا الْعَجَائِبُ الَّتِي قَدَّرَهَا اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ مِنْهَا: مَا رَأَاهُ مَيْسِرَةً إِذَا كَانَتْ الْهَاجِرَةُ وَاشْتَدَّ الْحَرُّ، يَرَى مَلَكَينِ يُظَلِّلَانِهِ مِنْ

الشمس وهو يسير على بغيره^(١)، واختلافه مع أحد التجار حول سلعة فقال له الرجل: إحلِف باللات والعزى فقال رسول الله: ما حلفت بهما قط، فقال الرجل: القول قولك، ثم نظر الى ميسرة وقال له: هذا نبي هذه الأمة والذي نفسي بيده إنه لهو تجده أبحارنا منعوتا في كتبهم، فوعى ميسرة ذلك^(٢). عاد رسول الله ﷺ من هذه الرحلة بريح وفير لم تره خديجة في تجاراتها السابقة، ولما رأت البركة تذكرت قول اليهودي لنساء مكة يوم اجتمعن في المسجد الحرام بقوله: يا معشر نساء قُريش إنه يؤشك فيكن نبي فأيكن استطاعت أن تكون فراشا له فلتفعل^(٣)، وعلق ذلك في ذهن خديجة حتى تاجر في مالها وكانت قد تزوجت برجلين من قبل، وبعد وفاة زوجها الثاني كانت قد تجاوزت من العمر الأربعين، ولها أولاد وأنى لها برجل كفى، وقد رغبها صناديد قُريش فأبت، لكنها بعدما رأت محمداً ﷺ تذكرت قول اليهودي فيه فتمنته زوجاً، وعملت على اختيار التعامل معه والتأكد من المزاي التي تصورتها فيه، إنها مشيئة الله تعالى فقد هيا الله لها ذلك حين أتاه أبو طالب يطلب منها الموافقة على أن يتاجر النبي ﷺ في مالها، ولكن رسول الله ﷺ لم يفكر بالزواج منها لما بينهما من فارق العمر، ولأنها رفضت الزواج من كبار قُريش وأغنيائهم والفارق المالي الكبير، فهي من أغنى الأغنياء في مكة ومحمد ﷺ يشتغل عندها بالأجرة ليعيش، لهذا لم يفكر محمد ﷺ في الزواج منها، وعزمت السيدة خديجة من الزواج منه ليتنازل معه الشرف وتفضل به سائر الناس، وسعت الى ذلك بأكثر من طريق حتى تحقق لها ذلك، تقول عنها

(١) سيرة ابن اسحاق، ٨١/١، والروض الأنف، أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد السهيلي (ت: ٥٨١هـ)،

المحقق: عمر عبدالسلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ١٥٢/٢.

(٢) سبل الهدى والرشاد، ١٥٩/٢.

(٣) سبل الهدى والرشاد، ١٦٤/٢، والسيرة الحلبية السيرة الحلبية، علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج، (ت: ١٠٤٤هـ)،

دار الكتب العلمية - بيروت، ط٢ - ١٤٢٧هـ، ٢٠٣/١.

نَفِيسَة: كانت خَدِيجَة بِنْتُ خُوَيْلِد امرأة حَازِمَة جَلْدَة شَرِيفَة، مَعَ مَا أَرَادَ اللهُ بِهَا مِنَ الْكَرَامَةِ وَالْخَيْرِ، وَهِيَ يَوْمُئِذٍ أَوْسَطُ نِسَاءِ قُرَيْشِ نَسَبًا، وَأَعْظَمَهُمْ شَرَفًا، وَأَكْثَرَهُمْ مَالًا، وَكُلَّ قَوْمِهَا كَانَ حَرِيصًا عَلَى نِكَاحِهَا لَوْ قَدَّرَ عَلَى ذَلِكَ، فَقَدْ طَلَبُوهَا وَبَذَلُوا لَهَا الْأَمْوَالَ، فَأَرْسَلْتَنِي دَسِيسًا إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ بَعْدَ أَنْ رَجَعَ مِنْ عِيرِهَا مِنَ الشَّامِ^(١). إِنَّهَا مَشِيئَةُ اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي جَعَلَتْ خَدِيجَةَ الرَّافِضَةَ لِلزَّوْجِ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ تَبَحُّثَ عَنْ شَابٍّ يَصْغُرُهَا بِخَمْسَةِ عَشَرَ عَامًا، وَهِيَ الْمَشِيئَةُ ذَاتُهَا الَّتِي جَعَلَتْ مُحَمَّدًا ﷺ يُرْحَبُ بِالزَّوْجِ مِنْ خَدِيجَةَ وَهُوَ لَا يَمْلِكُ نَفَقَاتِ الزَّوْجِ، إِنَّهَا الْحِكْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ الَّتِي حَبَّأَهَا اللَّهُ تَعَالَى لِهَذَيْنِ الزَّوْجَيْنِ لِتَتَكُونَ بِهِمَا خَيْرُ أُسْرَةٍ ظَهَرَتْ فِي حَيَاةِ الْمُسْلِمِينَ، فِيهَا زَوْجَةٌ تَشْهَدُ لِزَوْجِهَا بِالْعِظْمَةِ بِقَوْلِهَا: كَلَّا وَاللَّهِ، لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا^(٢). وَهِيَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- الَّتِي آمَنَتْ بِهِ وَصَدَّقَتْهُ، وَوَقَفَتْ مَعَهُ تُؤَاسِيهِ بِنَفْسِهَا وَبِمَالِهَا، وَزَوْجٌ يَشْهَدُ لِزَوْجَتِهِ بَعْدَ مَمَاتِهَا بِقَوْلِهِ: ((قَدْ آمَنْتُ بِبِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ، وَصَدَّقْتَنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَأَسْتَنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقْتَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ))^(٣)، وَبِهَذَا الزَّوْجِ قَدْ اِمْتَنَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ بِزَوْاجِهِ مِنْ خَدِيجَةَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾^(٤) حِينَ كَانَ فَقِيرًا فَأَغْنَاهُ اللَّهُ تَعَالَى بِمَالِ خَدِيجَةَ الَّذِي تَنَازَلَتْ لَهُ عَنْهُ لِتَتَفَرَّغَ لِلْمَهَامِ الْكُبْرَى، فَهُوَ لَمْ يَعُدْ مُحْتَاجًا لِلْمَالِ لِيَسْعَى لِتَحْصِيلِهِ، أَوْ يَنْشَغَلَ فِي الْعَمَلِ مِنْ أَجْلِ كَسْبِهِ، فَقَدْ أَغْنَاهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَذَا الْمَالِ، وَأَغْنَاهُ بِرِضَى النَّفْسِ وَهَدْوِ الْبَالِ، وَدَفَعَهُ

(١) عيون الأثر ٦٣/١.

(٢) الإيمان لابن منده، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْدَه العبدى (ت: ٣٩٥هـ)، المحقق: د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ٢، ١٤٠٦هـ، ٦٩٣/٢.

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، مسند النساء، مُسْنَدُ الصَّدِيقَةِ عَائِشَةَ بِنْتُ الصَّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، المحقق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، ٣٥٦/٤١، رقم (٢٤٨٦٤) قال الأرنؤوط: حديث صحيح.

(٤) سورة الضحى: الآية: ٨.

الى المِيل نحو التأمل والتفكر في هذا الكون وخالقه ، لذلك نرى رسول الله ﷺ بدأ حياة التأمل والتفرغ للتحنن بعيداً عن صخب الحياة ، وما كان ذلك الا بتقدير الله سبحانه وتعالى بما رزقه الزوجة الصالحة التي هيأت له ذلك.

المطلب السابع

المسائل التي ولدها اليتيم عند النبي ﷺ

إنَّ حالة اليتيم التي مرَّ بها رسول الله ﷺ وقد عانى منه الكثير ولكن برعاية الله تعالى وتهنيئته لأسباب اجتيازها، قد عبرها بنجاح إلا أنها تركت فيه أثراً لا بدَّ من الإشارة إليها في هذا البحث ومنها:

١. ولَدَ اليتيم عند رسول الله ﷺ الشعور بالأخر بالعطف واللين.
٢. تمسُّك الرسول ﷺ بالله تعالى مع علمه بأنَّه هو الرازق الكافل الناصر.
٣. حَثَّ المسلمين على رعاية اليتيم وما يترتب عليه من الأجر والثواب أو العقاب لمن أساء لهم.
٤. اليتيم هو أكثر الناس إيماناً وتصديقاً من غيره بصفات الرُبوبية وذلك من خلال رعاية الله تعالى لنبيه ﷺ منذ أن كان في بطن أمه الى أن توفاه الله عز وجل.
٥. في يتم النبي ﷺ ترسيخ واضح لمفهوم القضاء والقدر.
٦. إنَّ رسول الله ﷺ أول من لمس ألام اليتيم وأحزانه بقوله: ((أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا، وقال بإصبعه السبابة والوسطى))^(١).

(١) أخرجه الامام البخاري في صحيحه ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة ، ط١، ١٤٢٢هـ ، كتاب الأدب، باب فضل من يعول يتيماً، ٩/٨ ، رقم(٦٠٠٥).

النتائج والتوصيات

لقد أحاطت عناية الله تعالى ورعايته لنبيه محمد ﷺ من كافة النواحي سواء من ناحية نسبه وحمل أمه به وإرضاعه وكفالاته ورحلاته وزواجه، وهذه الإحاطة قد أسفرت وأثمرت إلى شخصية متكاملة في واحدٍ من البشر أراد الله تعالى له أن يكون رسولاً نبياً.

١. إختار الله سبحانه لنبيه ﷺ هذه النشأة لحكمٍ باهرةٍ لعل من أهمها أن لا تكون للمبطلين سبيل الى إدخال الريبة في قلوب الناس بأن رسول الله ﷺ إنما رضع لبان دعوته ورسالته بإرشادٍ وتوجيهٍ من أبيه وجده مع إن جده كان صدرًا في قومه وكانت له الرفادة والسقاية.

٢. الأشخاص الذين هياهم الله تعالى لتكفل النبي ﷺ ورعايته حال يئمه لم يرشدوه الى التسول وطلب الحاجة من الغير وإنما كان توجيهها ورعاية له.

٣. ضرورة بناء العقيدة الصحيحة في سن الكفالة على الاختلاف بين الجنسين والإهتمام بالجانب العقدي، فقد يولد اليتيم ولديه جانب من الجحود لله تعالى بسبب الحرمان من الأبوين.

٤. قد يولد اليتيم ويولد الحقد معه على من كان عنده أبوين يفقده المعيل والإعتماد على نفسه، ولا يعلم أن الله تعالى هو الذي يسوق الرزق للعباد.

٥. جعل الله سبحانه رعاية اليتيم من أعظم أعمال البر وجعل الترابط بين الدين والإيمان من جهة وبين الإهتمام بشؤون الأيتام، فلا يمكن أن يكون الإنسان متديناً ويطرُد اليتيم.

٦. أوصى الإسلام برعاية اليتيم وكفالتة وعدّها من الأعمال الطيبة التي تُقدّسها الشرائع السماوية وتُقدّرها المجتمعات في مختلف الأزمان، وعظّمها الإسلام من خلال ذكرها في القرآن الكريم بثلاثٍ وعشرين مرة.

٧. الإهتمام بدور الأيتام في هذه المرحلة العمرية وبناءها بناءً عقائدياً من خلال دروس وبرامج تثقيفية أو زيارات علماء ودعاة مُصلحين ومن ذوي الاختصاص ، لتقوية الجانب الإيماني والتغلب على عقدة النقص والحرمان التي يعيشها هؤلاء ووصولاً الى الغاية لإنشاء عنصرٍ مُستقيم إيمانياً فاعلاً إجتماعياً.

المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم

١. إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
٢. أعلام النبوة، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، دار ومكتبة الهلال - بيروت، ط١، - ١٤٠٩ هـ.
٣. إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقرئ (ت: ٨٤٥هـ)، المحقق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
٤. الإيمان لابن منده، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده العبيدي (ت: ٣٩٥هـ)، المحقق: د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ.
٥. بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان .
٦. تجريد التوحيد المفيد، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقرئ (ت: ٨٤٥هـ)، المحقق: طه محمد الزيني، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.
٧. التوضيح الرشيد في شرح التوحيد المذيل بالتفنيد لشبهات العنيد، أبو عبد الله خلدون بن محمود بن نغوي الحقوي.
٨. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (ت: ١٢٣٣هـ)، المحقق: زهير الشاويش، المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق، ط١، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

٩. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة ، ط١ ، ١٤٢٢هـ.
١٠. الخصائص الكبرى، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت .
١١. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جَرْدِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، - ١٤٠٥هـ.
١٢. الروض الأنف ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى: ٥٨١هـ)، المحقق: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
١٣. سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت: ٩٤٢هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
١٤. سنن أبي داود ، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السَّجِسْتَانِي (ت: ٢٧٥هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - محمّد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م .
١٥. سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي) ، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (ت: ١٥١هـ)، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر - بيروت، ط١، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

١٦. السيرة الحلبية ، علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج، نور الدين ابن برهان الدين (ت: ١٠٤٤هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ٢، ١٤٢٧هـ .
١٧. السيرة النبوية ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، ١٣٩٥هـ/١٩٧٦م.
١٨. السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط ٢، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م.
١٩. الشريعة، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّي البغدادي (ت: ٣٦٠هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميحي، دار الوطن - الرياض / السعودية، ط ٢، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
٢٠. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
٢١. عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمري الربيعي، أبو الفتح، فتح الدين (ت: ٧٣٤هـ)، تعليق: إبراهيم محمد رمضان، دار القلم - بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
٢٢. غريب الحديث، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ) المحقق: د. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني - بغداد، ط ١، ١٣٩٧هـ.

٢٣. الفائق في غريب الحديث والأثر، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري(ت:٥٣٨هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي -محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة - لبنان، ط٢، ٢٠٢١/١.
٢٤. فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد، حامد بن محمد بن حسين بن محسن،المحقق: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار المؤيد، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
٢٥. فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: ١٠٣١هـ)، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.
٢٦. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي(ت:٧١١هـ)، دار صادر،بيروت، ط١٤١٤هـ، ٣هـ.
٢٧. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيتمي(ت:٨٠٧هـ)، المحقق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
٢٨. مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني (ت:٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
٢٩. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت:٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
٣٠. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت:٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

٣١. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٣٢. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (ت: ١٣٧٧هـ)، المحقق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم - الدمام، ط ١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
٣٣. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، (ت: ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
٣٤. منتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول ﷺ، عبد الله بن سعيد بن محمد عبادي اللّحجي الحضرمي الشحاري، ثم المراوعي، ثم المكي (ت: ١٤١٠هـ)، دار المنهاج - جدة، ط ٣، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م .
٣٥. المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، (ت: ٩٢٣هـ)، المكتبة التوفيقية، القاهرة - مصر.